لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

لَمَحَاتٌ عِلْمِيَّــةٌ وَقُطُوفٌ تَفْسِيرِيَّةٌ

د. محمد دودح

الباحث العلمي بالهيئة العالميــة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

المُقَدِّمَة

لا خلاف في المنهج بين مفسري اليوم للآيات الكونية ومفسري الأمس؛ سوى تَجَلِّي بعض خفايا الخليقة بعد اكتشاف المنظار والمجهر وتطور وسائل الرصد، لتسطع البينة على أن هذا القرآن هو الحق، ولو كان مُفَسِّرِي الأمس مُعَاصِرِين لَسَارَعُوا إلى تفسير الآيات الكونية بالحقائق العلمية، فقد فاضت كتبهم ومن سار على دربهم بوجوه من الإعجاز في القرآن الكريم.

قَالَ الْفَخر الرازي: ""كَانَ عمر بن الحسام يقْرَأ كتاب المجسطي على عمر الْأَبْهَرِيّ فَقَالَ لَهما بعض الْفُقَهَاء يَوْمًا: مَا الَّذِي تقرأونه؟ فَقَالَ الْأَبْهَرِيّ أفسر قَوْله تَعَالَى {أفلم ينْظرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقهم كَيفَ بنيناها} فَأَنا أفسر كَيْفيَّة بنائها، وَلَقَد صدق الْأَبْهَرِيّ فِيمَا قَالَ؛ فَإِن كل من كَانَ أَكثر توغلا فِي بحار الْمَخْلُوقَات كَانَ أَكثر علمًا بِجلَال الله تَعَالَى وعظمته"[1]، والمجسطي هذا كتاب قديم في الفلك والرياضيات ألفه بطليموس حوالي عام ١٤٨م في الاسكندرية، وترجمه إلى العربية حنين بن إسحاق العبادي في عهد المأمون حوالي عام ٨٢٧م[2]، فما بالك بالمجلدات اليوم المزدانة بمفاخر الكشوف ومآثر العلوم!.

وتأتي الملامح العلمية بعفوية وتلطف لا يلفت عن غرض الإيمان، ولا مجال لاستنباط وجه علمي بمعزل عن تفهم بديع أساليب البيان، والخشية من تغير الحقائق العلمية مع الزمن حرص محمود؛ لكن الحقائق ثوابت لا تتغير مع الزمن كظلمة البحر العميق، والقول بأن الاجتهاد قد يصيب وقد يخيب صحيح؛ ولكن حرص المتضلعين بعلوم اللغة والشريعة والطبيعة كفيل بالتصويب.

والتفسير بالعلوم يُوَضِّح ما انتظرته الأيام ليتجلى ويسطع ويتحقق وعد جازم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص:٨٧و٨٨، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٤١فصلت:٥٣، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٢٧النمل:٩٣، ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ. لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦الأنعام:٦٦و٦٧، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠يونس:٣٩، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ٣٨ص:٨٧و٨٨.

د. محمد دودح

[1] فخر الدين الرازي؛ مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة؛ ١٤٢٠هـ (١٤\ ١٥٤).

[2] موسوعة ويكيبيديا والشبكة الدولية.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾
٢البقرة:٢٢٢.

Paragraph الفَقْرَة

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ. نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢البقرة:٢٢٢و٢٢٣.

keywords كَلِمَات إِرْشَادِيَّة

﴿الْمَحِيضِ﴾، ﴿أَذًى﴾، ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾.

Translation (تَفْسِيرِيَّة) تَرْجَمَة

They ask you about menstruation: say; It is harmful; so keep away from (menstruation site of) **women during menstruation, and do not approach them until they are clean.**

لمَحَات بَيَانِيَّة وعِلْمِيَّة

Eloquent & Scientific Hints

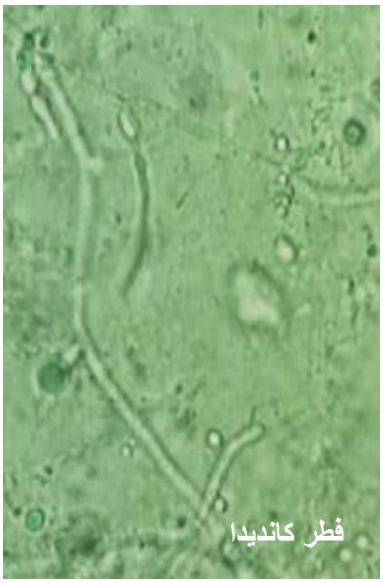

الطفيل المشعر وفطر كانديدا وأصناف من البكتريا يمكن أن تسبب التهاب مهبلي عند زيادة معدل تكاثرها.

لا فائدة تُرجى من رمي البذور في تربة لم يتم حرثها بعد؛ وبالمثل لا فائدة تُرجى من وقاع في فترة الحيض، بل الضرر قائم بكائنات دقيقة مُتَرَبِّصَة قد تُدفع للداخل؛ خاصة لفقد حموضة المهبل التي تحمي المجاري التناسلية منها، والدم والأنسجة المتهتكة بيئة خصبة لنمو العديد من الكائنات الدقيقة التي يُمكن أن تسبب التهابات للزوجة، وأهمها: الطفيل المشعر Trichomonas وفطر كانديدا Candida والبكتيريا Bacteria، وكائنات أخرى يُمكن أن تُصيب الزوج.

وقد تكون الحالة النفسية للزوجة غير مواتية؛ فينبغي مراعاة ظرفها لما قد يصيبها قبل الطمث من ألم وتوتر، وتعرف تلك الحالة بالمتلازمة السابقة للحيض Pre-menstrual Syndrome؛ وهي مجموعة من الأعراض النفسية والعاطفية والسلوكية والجسدية وتغيرات في المزاج مرتبطة بالحيض قد ترجع إلى التغيرات الهرمونية في تلك الفترة، وتبدأ قبل أيام من بدء الحيض عند بعض النساء؛ وقد تختفي مع بدء الحيض أو تستمر معه، وتتحسن الحالة المزاجية بعده، وتختلف الأعراض بين سيدة وأخرى، فقد تشتد عند البعض وتصبح حادة؛ بينما لا تكاد تُذكر عند البعض الآخر.

وبلطف يَرِد النهي عن وقاع غير مثمر وغير صحي: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾، إذن علة النهي هي الطهارة والحفاظ على الصحة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾، ومراعاة نفسية الزوجة علة إضافية: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وتقتصر الإباحة على أي وقت طول مرحلة الطُهر وفقًا للفطرة السوية: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

والنص على الأذى في حالة المحيض يعني توفر أسباب الضرر للزوجين، فالرحم يكون في تلك الحالة متقرحاً لفقده بطانته الحامية فتقل مقاومة الرحم للميكروبات ويكون معرضا للإصابة بالالتهابات؛ خاصة مع المعلوم طبياً الآن من أن الدم والأنسجة المتهتكة هما أنسب البيئات لتكاثر الميكروبات، وأن مقاومة المهبل خلال فترة الحيض تكون في أدنى مستوى؛ حيث تقل درجة الحموضة الفعالة في مقاومة الميكروبات وتقل سماكة جدار المهبل، وقد يمتد الالتهاب إلى أعضاء حيوية كالكلية عبر مجرى البول، وقد تسبق الحيض حالة طبية تسمى العرض قبل المحيض Pre-menstrual syndrome؛ قد تكون الزوجة فيه أقل كفاءة في أداء عملها نتيجة للألم المصاحب لانقباض الرحم، وقد تشعر بصداع وفتور وتكون أقرب للاكتئاب أو الانفعال، وقد تميل إلى السهو والنسيان، وتجنب التزاوج فترة المحيض فطرة في الثدييات غير العاقلة؛ وهو توجيه يترقى بالإنسان ويقيه عواقب أيدتها العلوم الحديثة.

وعملية الحيض إذن مقدمة للحمل ولا يكون الوقاع مثمرا خلاله؛ وبالفعل يقع التبويض منتصف الدورات، ويعادل الخليط حموضة المهبل فتقل كفاءته في قتل الميكروبات، وتقل فاعلية المجاري التناسلية عن مقاومة البكتريا وتكون معرضة أكثر للالتهاب، والنتيجة تكوين وسط مناسب لتكاثر البكتريا، وقد تنتقل البكتريا إلى أعلى المجاري التناسلية في كل من الزوجين فتسبب أضرارا قد يكون أثرها مستديما، وقوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى)؛ صريح في بيان إمكان الضرر، وإطلاق لفظ الأذى يجعله يعم الجنسين، وفي كل ما تكون عواقبه وخيمة صحيا واجتماعيا يدعو القرآن الكريم لتجنبه فيوافق المبدأ الطبي القائل: (الوقاية خير من العلاج)، وكالعادة في النظم التلطف في التوجيه في المسائل التي قد تجرح الحياء: (فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ)، فمنع الاقتراب إذن من الزوجات مخصص بموضع الأذى وليس بإطلاق لكونه علة المنع بصريح التعبير، وما كان أحد يعلم زمن النبوة أن المحيض تصاحبه تأثيرات عضوية ونفسية تتطلب التلطف والتماس العذر المتضمن في تعبير (فَاعْتَزِلُوا)؛ أو يدرك أن الأنسجة المتهتكة والدماء هي بيئة للتعفن وأنسب لتكاثر البكتريا فيتجنب عواقبه بالتعبير: (وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ)!.

قُطُوف تَفْسِيرِيَّة

Interpretation picks

قال محمد رشيد رضا: "وَالْمَحِيضُ هُوَ الْحَيْضُ الْمَعْرُوفُ: وَهُوَ الدَّمُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الرَّحِمِ.. فِي زَمَنٍ مَعْلُومٍ لِوَظِيفَةٍ حَيَوِيَّةٍ صِحِّيَّةٍ تُعِدُّ الرَّحِمَ لِلْحَمْلِ بَعْدَهُ إِذَا حَصَلَ التَّلْقِيحُ الْمَقْصُودُ مِنَ الزَّوْجِيَّةِ لِبَقَاءِ النَّوْعِ..، ﴿قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ قَدَّمَ الْعِلَّةَ عَلَى الْحُكْمِ وَرَتَّبَهُ عَلَيْهَا لِيُؤْخَذَ بِالْقَبُولِ مِنَ الْمُتَسَاهِلِينَ الَّذِينَ يَرَوْنَ الْحَجْرَ عَلَيْهِمْ تَحَكُّمًا؛ وَيُعْلَمَ أَنَّهُ حُكْمٌ لِلْمَصْلَحَةِ لَا لِلتَّعَبُّدِ كَمَا عَلَيْهِ الْيَهُودُ، وَالْمُرَادُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْقُرْبِ النَّهْيُ عَنْ لَازِمِهِ الَّذِي يُقْصَدُ مِنْهُ وَهُوَ الْوِقَاعُ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الرِّجَالِ تَرْكُ غِشْيَانِ نِسَائِهِمْ زَمَنَ الْمَحِيضِ؛ لِأَنَّ غِشْيَانَهُنَّ سَبَبٌ لِلْأَذَى وَالضَّرَرِ، وَإِذَا سَلِمَ الرَّجُلُ مِنْ هَذَا الْأَذَى فَلَا تَكَادُ تَسْلَمُ مِنْهُ الْمَرْأَةُ..، عَلَى أَنَّ أَخْذَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَهُوَ الضَّرَرُ مُقَرَّرٌ فِي الطِّبِّ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْعُدُولِ عَنْهُ..، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾ الطُّهْرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ انْقِطَاعُ دَمِ الْحَيْضِ وَهُوَ مَا لَا يَكُونُ بِفِعْلِ النِّسَاءِ، وَأَمَّا التَّطَهُّرُ فَهُوَ مِنْ عَمَلِهِنَّ وَهُوَ يَكُونُ عَقِبَ الطُّهْرِ.. وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِلَفْظِ الْأَمْرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾ الْأَمْرُ التَّكْوِينِيُّ؛ أَيْ: فَأْتُوهُنَّ مِنَ الْمَأْتَى الَّذِي بَرَأَ اللهُ تَعَالَى الْفِطْرَةَ عَلَى الْمَيْلِ إِلَيْهِ وَمَضَتْ سُنَّتُهُ بِحِفْظِ النَّوْعِ بِهِ وَهُوَ مَوْضِعُ النَّسْلِ"[٣].

وقال ابن عاشور: "الْأَذَى: الضُّرُّ الَّذِي لَيْسَ بِفَاحِشٍ كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ الِاسْتِثْنَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ ٣آل عمران:١١١..، وَقَدْ أَثْبَتَ أَنَّهُ أَذًى مُنَكَّرٌ.. فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْأَذَى.. لِلرَّجُلِ وَلِلْمَرْأَةِ..، فَرُبَّمَا.. اسْتَحَالَ إِلَى عُفُونَةٍ تُحْدِثُ أَمْرَاضًا مُعْضِلَةً..، وَقَوْلُهُ: ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ تَفْرِيعُ الْحُكْمِ عَلَى الْعِلَّةِ..، وَهُوَ هُنَا كِنَايَةٌ عَنْ تَرْكِ مُجَامَعَتِهِنَّ..، وَالتَّقْدِيرُ: فِي زَمَنِ الْمَحِيضِ..، وَالْحَرْثُ مَصْدَرُ حَرَثَ الْأَرْضَ إِذَا شَقَّهَا بِآلَةٍ تَشُقُّ التُّرَابَ لِيُزْرَعَ فِي شُقُوقِهِ زَرِيعَةٌ أَوْ تُغْرَسَ أَشْجَارٌ..، وَالْحَرْثُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُرَادٌ بِهِ الْمَحْرُوثُ بِقَرِينَةِ كَوْنِهِ مَفْعُولًا لِفِعْلِ ﴿فَأْتُوا﴾..، وَتَشْبِيهُ النِّسَاءِ بِالْحَرْثِ تَشْبِيهٌ لَطِيفٌ..، وَقَدْ أُضِيفَ (أَنَّى) فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى جُمْلَةِ (شِئْتُمْ)..؛ فَالَّذِي يَتَبَادَرُ مِنْ مَوْقِعِ الْآيَةِ وَتُسَاعِدُ عَلَيْهِ مَعَانِي أَلْفَاظِهَا أَنَّهَا تَذْيِيلٌ وَارِدٌ بَعْدَ النَّهْيِ عَنْ قِرْبَانِ النِّسَاءِ فِي حَالِ الْحَيْضِ؛ فَتُحْمَلُ (أَنَّى) عَلَى مَعْنَى مَتَى وَيَكُونُ الْمَعْنَى فَأْتُوا نِسَاءَكُمْ مَتَى شِئْتُمْ إِذَا تَطَهَّرْنَ..، وَلَا مُنَاسَبَةَ تَبْعَثُ لِصَرْفِ الْآيَةِ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى"[٤].

وقال المراغي: "والخلاصة إنه يجب ترك غشيان النساء مدة الحيض لأنه سبب للأذى والضرر، وقد أثبت ذلك الطب الحديث، فقالوا إن الوقاع في زمن الحيض.. ربما أحدث التهابات..، (و) قد يحدث العقم في الذكر أو في الأنثى.. وكفى بهذا ضررًا، ومن ثمّ أجمع الأطباء المحدثون في بقاع المعمورة على وجوب الابتعاد عن المرأة في هذه المدة كما نطق بذلك القرآن الكريم..، ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ أي فإذا اغتسلن من دم الحيض فأتوهن من المأتي الذي جبلت النفوس على الميل إليه ومضت سنة الله بحفظ النوع به؛ وهو موضع النسل..، ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي لا حرج عليكم في إتيان نسائكم بأى كيفية شئتم ما دمتم تقصدون الاستيلاد في الموضع الطبيعي..، وقد جاءت هذه الآية عقب سابقتها، كالبيان لها شارحة وجه الحكمة التي لأجلها شرع غشيان النساء، وهو حفظ بقاء النوع البشرى بالاستيلاد؛ كما يحفظ النبات بالزرع والحرث..، ومن ثمّ لا يحل لكم أن تأتوا النساء في زمن الحيض حيث لا استعداد لقبول الزرع..، ثم أوعد من يخالفون أمره فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾"[٥].

---

[٣] محمد رشيد رضا؛ تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ ١٩٩٠م (١٢ ٢٨٥).

[٤] محمد الطاهر بن عاشور؛ التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس؛ ١٩٨٤هـ (١٢ ٣٦٤).

[٥] أحمد مصطفى المراغي؛ تفسير المراغي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م (١٢ ١٥٧).

Scientific Field الحَقْل العِلْمِي

Medicine

طب

Subject المَوْضُوع

Menstruation

الحيض

Related Texts نُصُوص مُتَعَلِّقَة

- **﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢البقرة:٢٣٤،**
- **﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ ١٣الرعد:٨،**